

خطبة الاستسقاء

الحمد لله ذي العرش المجيد، لا إله إلا الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا إله إلا الله الواسع الحميد، لا إله إلا الله المؤمن لكشف كل كرب شديد، لا إله إلا الله المرجو للإحسان والإفضال والمزيد، لا إله إلا الله لا راحم ولا واسع سواه للعبيد، استوى في علمه القريب والبعيد، لا ملجأ منه إلا إليه ولا مفرّ ولا محيد، سبحان فارح الكربات، ومجيب الدّعوات، ومغيث اللّهفات، سبحان العالم بالظواهر والنيات، القائم بأرزاق جميع المخلوقات، سبحان الله مكون الأكوان، ومدبر الأزمان، ذي العظمة والجود والعزّ والسُّلطان، يحبُّ الأواب ويتوب على من تاب.

أحمده تعالى حمد من تاب إليه وأناب، وأشكره على نعم تفوق العدّ والحساب، وأرجو عفوه وأسأله المزيد من فضله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، في السّماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم، وتبارك الذي له ملك السّماوات والأرض وما بينهما وعنده علم السّاعة وإليه ترجعون.

وأشهد أن نبينا محمّداً عبده ورسوله، أخشى النّاس لرّبّه، وأتقاهم لمولاه، وأكثرهم له استغفاراً، وأصدقهم شكراً.

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك وخليلك محمّداً وعلى آله وأصحابه هداة الأنام.

أما بعد:

فأتقوا الله - عباد الله - وتوبوا إليه واستغفروه وأخلصوا له العبادة
ووحّدوه.

أيها المسلمون:

المعاصي والذنوب ضررها على الأبدان والقلوب وتسري إلى البلدان
والدور، وأثرها ظاهر على الشعوب والأفراد، فهي جالبة للشرور
والمصائب، بها تزول النعم وتحصل النقم، وبسببها تتوالى المحن
وتتداعى الفتن، بالمعصية تتعسر الأمور، فما يطرق العاصي باباً إلا وجده
مغلقاً دونه أو متعسراً عليه تحقيقه، والخطيئة تحرم الرزق من السماء،
والذنوب متى استحكمت قتلت وبالهلاك آذنت، يقول ابن مسعود رضي الله عنه:
«إذا ظهر الزنا والرّبا في قرية أذن الله بهلاكها»، وتتابع الآثام سبب زوال
الأمن والاطمئنان، قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً
مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ
لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [التحل: ١١٢]، وعقوبة الذنب
تحل ولو بعد حين، قال سبحانه ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ
مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣]، وهوان الذنب على العاصي من
علامة الهلاك، وكلّما صغر الذنب في عين العبد عظم عند الله،
ومُحقرات الذنوب إذا اجتمعن على الرّجل أهلكنه، والذنوب عظيم
خطرها إذا جاهر بها العصاة، يقول ابن حجر - رحمه الله -: «يكون
إهلاك الجميع عند ظهور المنكر والإعلان بالمعاصي» ﴿وَكَلَّيْنِ مِّن قَرْيَةٍ عَنَّ
عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا تَكَرَّرًا﴾ (٨) فذاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا
وَكَانَ عِقَابُهُ أَمْرًا خُسْرًا﴾ [الطلاق: ٨، ٩].

أيها المسلمون:

إذا كثر الاستغفار في الأمة وصدر عن قلوب مطمئنة دفع الله عنها ضرباً من النقم، وصرف عنها صنوفاً من البلايا والمحن ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]، بالاستغفار تنزل الرَّحْمَاتُ ﴿قَالَ يَنْفُورُ لِمَ اسْتَعَجَلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الشم: ٤٦]، بالاستغفار يبلغ كل ذي منزل منزلته وينال كل ذي فضل فضله ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ تُؤْبَأُ إِلَيْهِ يُمَتِّعُكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٣].

فاتَّقوا الله واتَّعظوا واعتبروا، وبادروا بالتَّوبَةِ وتعجلوا الإنابة، فقد جعل الله لكم في التَّوبَةِ ملاذاً مكيناً وملجأً حصيناً، ومن تدنس بشيء من قدر المعاصي وأوحال الذنوب فليبادر بغسله بماء التَّوبَةِ وطهور الاستغفار، وخير العاصين من يسارع إلى التَّوبَةِ ويبادر إلى العودة، تحثه الخطى وتسرع به الدُموع ويحوطه العمل الصَّالح.

أيها المسلمون:

ها أنتم قد حضرتم تشكون إلى ربِّكم جذب دياركم، وتبسطون إليه حاجاتكم، فادعوه سبحانه والتجؤوا إليه وتقربوا بصالح العمل لديه، فما ضاق أمر إلا وجعل الله منه مخرجاً، ولا عظم خطب إلا وجعل الله معه فرجاً، وفي كتاب الله قوم مذمومون لم يستكينوا عند البلاء ولم يرجعوا إلى ربِّهم في البأساء، قال جلَّ وعلا: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦].

فتوجَّهوا إلى الله تائبين، وردُّوا المظالم إلى أهلها، فإن الله قد حرَّم الظلم على نفسه وجعله بينكم محرماً فلا تظالموا، ولا تمزقوا بالغيبة أعراضكم، وتسامحوا وتراحموا، ولا تشاحنوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا تتقاطعوا، وأكثروا من الصَّدقة تُرزقوا، ومروا بالمعروف تُخصبوا،

وانهوا عن المنكر تُنصروا، ولا تشتغلوا بأموالكم في معصية الله، واسعوا إلى التماس المغفرة من الله، واصرفوا هممكم بالتقرب إليه بطاعته، وإيّاكم ومُحقرات الذُّنوب فإن لها من الله طالباً، وما نزل بلاء إلا بذنب ولا كشف إلا بتوبة، فاستكينوا إلى ربِّكم، وارفعوا أكْفَ الضَّرَاعَةِ إليه واستغفروه، فقد قال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿وَيَقُولُ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هُود: ٥٢].

اللهم إِنَّا نَسْتَغْفِرُكَ إِنَّكَ كُنْتَ غَفَّارًا فَأَرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْنَا مِدْرَارًا.
اللهم أنت الله لا إله إلا أنت . . .